بسم الله الرحمن الرحيم

الْوَعْيُ الرَّشِيدُ .. وَأَثَرُهُ فِي مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ ٢٨ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٤٥ هـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّنَا نَعِيشُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ فِتَنًا وَتَحَدِّيَاتٍ شَدِيدَةً عَلَىٰ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، لَاسِيَّمَا بَلَدَنَا مِصْرَ الَّتِي يُحَاوِلُ الْأَعْدَاءُ الْإِحَاطَةَ بِحُدُودِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فِي مَكْرٍ وَخِدَاعٍ مُشِينٍ، مُسْتَعِينِينَ فِي ذَلِكَ بِبَعْضِ الْخَوَنَةِ الْمُجْرِمِينَ خَارِجَ الْبِلَادِ وَدَاخِلَهَا، رَدَّ اللهُ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَحَفِظَ اللهُ مِصْرَ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْوَعْيَ بِقِيمَةِ الْوَطَنِ، وَبِالتَّحَدِّيَاتِ الَّتِي يُوَاجِهُهَا، وَبِالْمَخَاطِرِ الَّتِي تُحِيطُ بِهِ، أَمْرٌ لَا غِنًىٰ عَنْهُ، خَاصَّةً وَنَحْنُ فِي مَرْحَلَةٍ شَدِيدَةِ الْحَرَجِ فِي تَارِيخِ مَنْطِقَتِنَا؛ فَالْمَخَاطِرُ جِسَامٌ، وَالتَّحَدِّيَاتُ هَائِلَةٌ، وَالْأَعْدَاءُ بِنَا مُتَرَبِّصُونَ، وَأَضْحَتِ الْفِتَنُ تَجْعَلُ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا لِشِدَّةِ اخْتِلَاطِ الْأُمُورِ، وَاضْطِرَابِهَا، وَتَقَلُّبِهَا.

عِبَادَ اللهِ: مِنْ أَخْطَرِ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُوَاجِهُنَا تِلْكَ التَّحَدِّيَاتُ الَّتِي تُهَدِّدُ أَمْنَنَا وَاسْتِقْرَارَنَا فِي أَوْطَانِنَا. فَالْأَمْنُ نِعْمَةٌ مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللهِ ﷻ عَلَى الْإِنْسَانِ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، فَبِدُونِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ لَا يَهْدَأُ لِلْإِنْسَانِ بَالٌ، وَلَا تَطْمَئِنُّ لَهُ نَفْسٌ، وَلَا يَهْنَأُ بِالْحَيَاةِ حَتَّىٰ لَوْ أُوتِيَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا، فَسَعَادَةُ الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا فِي تَحَقُّقِ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ، يَقُولُ نَبِيُّنَا ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»، فَبِدُونِ الْأَمْنِ لَنْ تَقُومَ دَوْلَةٌ، وَلَنْ يَطْمَئِنَّ أَحَدٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ.

وَمِنْ أَجْلِ الْحِفَاظِ عَلَىٰ الْوَطَنِ وَأَمْنِهِ وَأَمَانِهِ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا فِي يَقَظَةٍ وَوَعْيٍ، وَحِيطَةٍ وَحَذَرٍ، وَأَنْ نَعْتَبِرَ بِحَالِ غَيْرِنَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حِفْظَ وَدَوَامَ أَمْنِ وَطَنِنَا أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا جَمِيعًا، كُلٌّ فِي مَجَالِهِ وَمَيْدَانِهِ، كَيْفَ لَا؟ وَالْحِفَاظُ عَلَىٰ الْوَطَنِ مِنْ أَهَمِّ الضَّرُورِيَّاتِ لِحِفْظِ الدِّينِ وَبَقَاءِ الدُّنْيَا، فَبِدُونِ الْوَطَنِ لَنْ نَتَمَكَّنَ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ ﷻ، وَبِدُونِ الْوَطَنِ لَنْ نَسْتَطِيعَ إِعْمَارَ الْأَرْضِ الَّتِي أَمَرَنَا اللهُ ﷻ بِإِعْمَارِهَا.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ حَرِصَ نَبِيُّنَا ﷺ عَلَىٰ بِنَاءِ الْوَعْيِ تُجَاهَ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مَا يَقُومُ بِهِ الْعَدُوُّ الصُّهْيُونِيُّ الْغَاشِمُ فِي أَهْلِ غَزَّةَ مِنْ قَتْلٍ وَتَشْرِيدٍ وَإِبَادَةٍ جَمَاعِيَّةٍ، وَهَدْمٍ لِلْبُنْيَانِ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ، لَيُبَيِّنُ مَدَىٰ حِقْدِ الْيَهُودِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾. إِنَّ تَارِيخَهُمُ الْأَسْوَدَ مِنَ الْعُدْوَانِ، وَالْغَدْرِ وَالْفَتْكِ وَالْخِيَانَةِ قَدْ سَطَّرَتْهُ صَفَحَاتُ التَّارِيخِ، لَقَدْ كَانُوا أَعْدَاءَ هَذَا الدِّينِ مُنْذُ أَنْ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ، فَلَا عَجَبَ. إِلَّا أَنَّهُ لَابُدَّ مِنَ التَّأَمُّلِ فِيمَا ذَكَرْتُهُ سَابِقًا.

يَا أَهْلَ غَزَّةَ الْجَرِيحَةِ: كُونُوا عَلَىٰ يَقِينٍ أَنَّ بَعْدَ الْكَرْبِ فَرَجًا، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، فَاجْتَهِدُوا رَحِمَكُمُ اللهُ فِي نَشْرِ التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ تُفْلِحُوا، وَأَكْثِرُوا مِنَ الْعِبَادَاتِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، مِنْ صَلَاةٍ

وَصِيَامٍ، وَدُعَاءٍ وَاسْتِغْفَارٍ، وَقِرَاءَةِ قُرْآنٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَغَيْرِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ سِلَاحٌ مِنْ أَشَدِّ أَسْلِحَةِ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مَا يَقُومُ بِهِ الْبَعْضُ مِنْ قَتْلِ السُّيَّاحِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا بِلَادَنَا بِإِذْنٍ مِنَ الْحَاكِمِ يُعَدُّ ضَرْبًا مِنَ السَّفَهِ، وَلَيْسَ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَفْتَحْ مَجَالًا لِلْأَعْدَاءِ لِلتَّدَخُّلِ فِي شُؤُنِنَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: نُنَبِّهُ الشَّبَابَ الْمُتَحَمِّسَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الذَّهَابُ لِلْجِهَادِ فِي أَيِّ بَلَدٍ مَا إِلَّا بِإِذْنِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَهَذَا لَيْسَ مِنَ التَّثْبِيطِ كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْجُهَّالِ. **قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قُدَامَةَ** رَحِمَهُ اللهُ **فِي «الْمُغْنِي»**: وَأَمْرُ الْجِهَادِ مَوْكُولٌ إِلَىٰ الْإِمَامِ وَاجْتِهَادِهِ، وَيَلْزَمُ الرَّعِيَّةَ طَاعَتُهُ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَالَتِ اللَّجْنَةُ الدَّائِمَةُ لِلْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ: الْجِهَادُ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَحِمَايَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالتَّمْكِينِ مِنْ إِبْلَاغِهِ وَنَشْرِهِ، وَحِفْظِ حُرُمَاتِهِ، فَرِيضَةٌ عَلَىٰ مَنْ تَمَكَّنَ مِنْ ذَلِكَ وَقَدِرَ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ لَابُدَّ لَهُ مِنْ بَعْثِ الْجُيُوشِ، وَتَنْظِيمِهَا؛ خَوْفًا مِنَ الْفَوْضَىٰ، وَحُدُوثِ مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ؛ **وَلِذَلِكَ كَانَ بَدْؤُهُ، وَالدُّخُولُ فِيهِ مِنْ شَأْنِ وَلِيِّ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ،** فَعَلَىٰ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَسْتَنْهِضُوهُ لِذَلِكَ، فَإِذَا مَا بَدَأَ وَاسْتَنْفَرَ الْمُسْلِمِينَ، فَعَلَىٰ مَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِلدَّاعِي إِلَيْهِ، مُخْلِصًا وَجْهَهُ لِلَّهِ، رَاجِيًا نُصْرَةَ الْحَقِّ، وَحِمَايَةَ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ مَعَ وُجُودِ الدَّاعِي، وَعَدَمِ الْعُذْرِ فَهُوَ آثِمٌ.

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «الشَّرْحِ الْمُمْتِعِ»**: لَا يَجُوزُ غَزْوُ الْجَيْشِ إِلَّا بِإِذْنِ الْإِمَامِ مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبَ بِالْغَزْوِ وَالْجِهَادِ هُمْ وُلَاةُ الْأُمُورِ، وَلَيْسَ أَفْرَادُ النَّاسِ، فَأَفْرَادُ النَّاسِ تَبَعٌ لِأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْزُوَ دُونَ إِذْنِ الْإِمَامِ إِلَّا عَلَىٰ سَبِيلِ الدِّفَاعِ، وَإِذَا فَاجَأَهُمْ عَدُوٌّ يَخَافُونَ كَلَبَهُ فَحِينَئِذٍ لَهُمْ أَنْ يُدَافِعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ لِتَعَيُّنِ الْقِتَالِ إِذًا. وَإِنَّمَا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ مَنُوطٌ

بِالْإِمَامِ، فَالْغَزْوُ بِلَا إِذْنِهِ افْتِيَاتٌ وَتَعَدٍّ عَلَىٰ حُدُودِهِ؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ جَازَ لِلنَّاسِ أَنْ يَغْزُوا بِدُونِ إِذْنِ الْإِمَامِ لَأَصْبَحَتِ الْمَسْأَلَةُ فَوْضَىٰ، كُلٌّ مَنْ شَاءَ رَكِبَ فَرَسَهُ وَغَزَا؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ مُكِّنَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ لَحَصَلَتْ مَفَاسِدُ عَظِيمَةٌ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْحِفَاظَ عَلَىٰ أَوْطَانِنَا فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الدَّقِيقَةِ يَتَطَلَّبُ مِنَّا أُمُورًا، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الِالْتِفَافُ حَوْلَ وُلَاةِ أُمُورِنَا، فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ الِاجْتِمَاعِ لَا الْفُرْقَةِ وَالْخِلَافِ؛ حَتَّىٰ لَا تَصِيرَ فَوْضَىٰ عَارِمَةٌ، وَتَقَعَ فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ.

الثَّانِي: الْحَذَرُ مِنَ الشَّائِعَاتِ؛ حَيْثُ يَعْمِدُ أَهْلُ الشَّرِّ دَائِمًا إِلَىٰ بَثِّ الشَّائِعَاتِ وَالْأَكَاذِيبِ، وَأَلَّا نَنْسَاقَ خَلْفَ جَمَاعَاتِ الْهَدْمِ الَّتِي لَا تُرِيدُ لَنَا وَلَا لِوَطَنِنَا خَيْرًا، بَلْ لُزُومُ غَرْزِ الْعُلَمَاءِ الصَّادِقِينَ الثَّابِتِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ.

الثَّالِثُ: أَنْ نَعْمَلَ بِكُلِّ قُوَّةٍ عَلَىٰ النُّهُوضِ بِمُجْتَمَعِنَا وَوَطَنِنَا بِمَزِيدٍ مِنَ الْجُهْدِ وَالْعَرَقِ، وَالْعَمَلِ وَالْإِتْقَانِ، فَعَلَىٰ شَبَابِنَا أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ الْوَعْيَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ الْبِنَاءُ لَا الْهَدْمُ، وَالْإِعْمَارُ لَا التَّخْرِيبُ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْتَحِمُوا الصِّعَابَ، وَأَنْ يُوَاجِهُوا التَّحَدِّيَاتِ بِعَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ، وَرُوحٍ وَثَّابَةٍ نَحْوَ الْبِنَاءِ وَالتَّعْمِيرِ، وَعِمَارَةِ الْكَوْنِ.

أَيَا طُلَّابَ الْعِلْمِ: الْزَمُوا غَرْزَ عُلَمَائِكُمْ وَحُكَّامِكُمْ فِي هَذِهِ النَّوَازِلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّقَدُّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَتُهْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. وَتَذَكَّرُوا مَا قَالَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السِّيَرِ» عَنْ عَالِمِ الْعِرَاقِ وَكِيعٍ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: تَوَرَّطَ فِيهَا، وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا خَيْرًا، وَلَكِنْ فَاتَتْهُ سَكْتَةٌ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» ... فَهَذِهِ زَلَّةُ عَالِمٍ، كَادَتْ نَفْسُهُ أَنْ تَذْهَبَ غَلَطًا.